

قصة: ولاء الج
م
رسوم: إسراء مجدي

# عَزَّةُ
# وَ
# تَلَّةُ الْأُمْنِياتِ

تَمَّ تَقْديمُ هَذا الْعَمَلِ لَكُمْ بِدَعْمٍ مِنْ

Australian Aid

World Vision

USAID
FROM THE AMERICAN PEOPLE

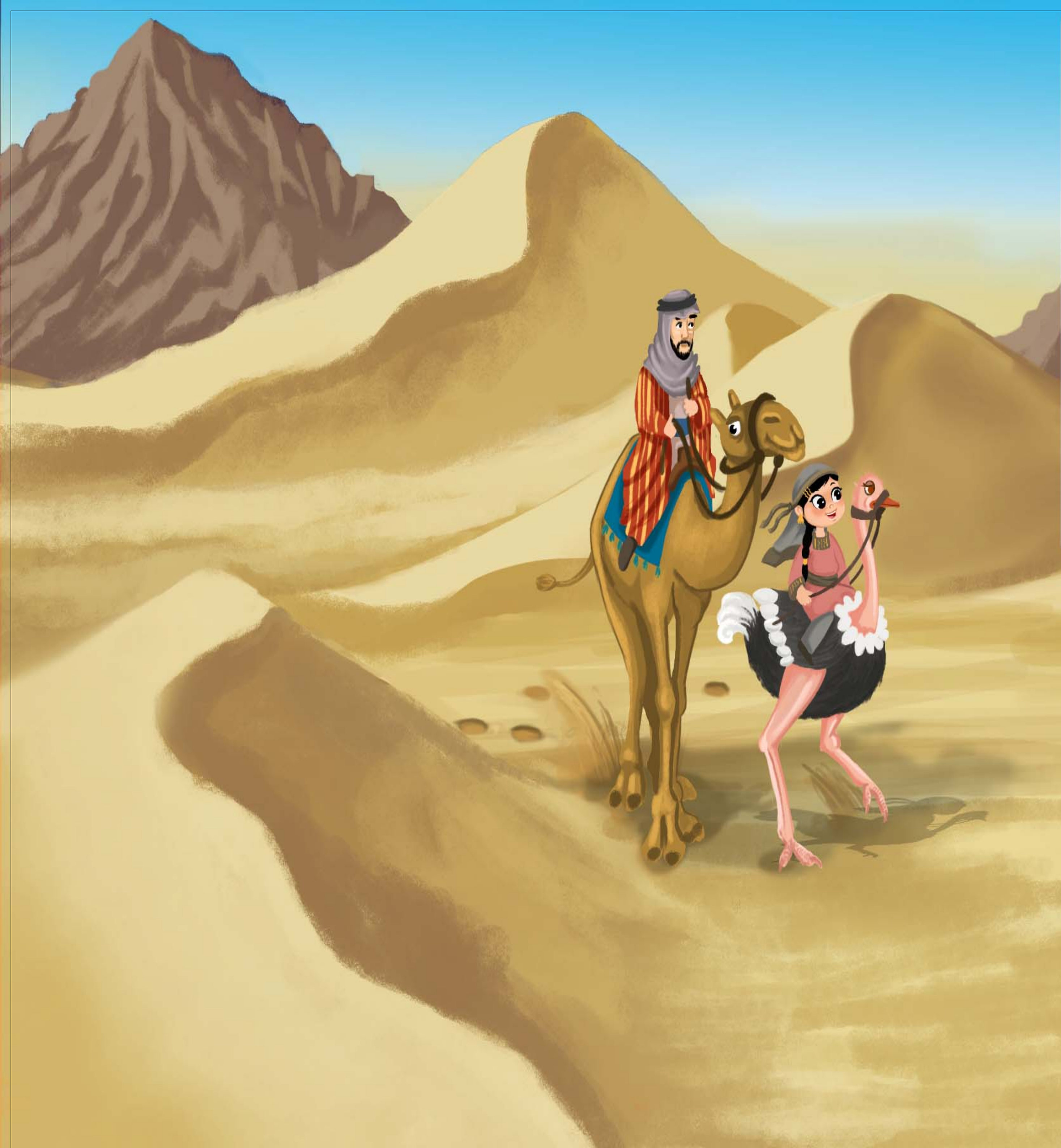
ALL CHILDREN READING:
A GRAND CHALLENGE FOR DEVELOPMENT

عِنْدَ الشُّروقِ، جَلَسْتُ فَوْقَ تَلَّةِ الْأُمْنِيّاتِ،
وَأَرْسَلْتُ أُمْنِيَّتي لِلسَّماءِ؛ "لا بُدَّ أَنْ تَتَحَقَّقَ الْأُمْنِيّاتُ يَوْمًا ما".



ناداني أَبي: "هَيّا يا عَزَّةُ". لَوَّحْتُ بِعَصايَ، وَرَدَّدْتُ كَلِماتي:
"هِشْ بِشْ وِشْ"؛ اِصْطَفَّتِ الْخِرافُ، وَرَكَضَتْ نَعامَتي سَريعَةً،
فَوَثَبْتُ عَلى ظَهْرِها وَسِرْنا.





لا شَيْءَ سِوى كُثْبانٍ رَمْلِيَّةٍ.

لا شَيْءَ سِوى جِبالٍ صَخْرِيَّةٍ.

لا شَيْءَ سِوى الْخَلاءِ.

وَفي الْخَلاءِ تولَدُ الْأُمْنِيّاتُ؛

يَوْمًا ما سَتَكونُ بِجانِبِ الصَّبّارِ مَدْرَسَةٌ،

وَسَأَحْمِلُ حَقيبَةً وَكِتابًا وَقَلَمًا.



قالَ أَبي: "أَيْنَ سَرَحْتِ يا عَزَّةُ؟ أَسْرِعي لِنَلْحَقَ بِالْجَميعِ".
كُلُّنا نَتَّجِهُ إِلى مَكانٍ واحِدٍ؛ الْواحَةِ.

وَصَلْنا أَخيرًا، فَازْدَحَمَتِ الْواحَةُ، وَعَلَتِ الضَّحْكاتُ. ناداني أَصْدِقائي:
"عَزَّةُ! شارِكينا اللَّعِبَ بِالْماءِ". أَجَبْتُ: "بَلْ سَأَلْعَبُ بِالرِّمالِ".





غَرَزْتُ عودًا في الرِّمالِ، وَرَسَمْتُ: "هذِهِ مَدْرَسَةٌ، وَشارِعٌ طَويلٌ يَصِلُ إِلى بَيْتي".
وَبَيْنَما كُنْتُ أَرْسُمُ الشّارِعَ، اِصْطَدَمْتُ بِحِذاءٍ رَسْمِيٍّ لامِعٍ!



رَفَعْتُ رَأْسي، فَرَأَيْتُ رَجُلًا بِبِزَّةٍ رَسْمِيَّةٍ وَاقِفًا يُراقِبُني.
اِسْتَدارَ وَقالَ بِصَوْتٍ جَهورٍ: "السَّلامُ عَلَيْكُمْ،
أنا مُديرُ الْمَدْرَسَةِ الْجَديدَةِ خَلْفَ الْوادي،
وَجِئْتُ لِأُعْلِمَكُمْ بِأَنَّنا نُرَحِّبُ بِجَميعِ الْأَطْفالِ في مَدْرَسَتِنا".



اِرْتَفَعَتِ الْأَصْواتُ: "مُسْتَحيلٌ!". "الطَّريقُ طَويلٌ!".
"الْوادي خَطيرٌ!". هَمَسْتُ: "أَبي، أَرْجوكَ؛ دَعْني أَذْهَبْ".



في طَريقِ الْعَوْدَةِ، بَدا أَبي شارِدًا عَلى غَيْرِ الْعادَةِ.
سَأَلْتُ: "هَلْ سَأَذْهَبُ إِلى الْمَدْرَسَةِ؟"،
فَهَزَّ أَبي رَأْسَهُ رافِضًا. "لكِنَّها فُرْصَتي يا أَبي،
غَدًا سَأَبْني قُرْبَ الصَّبّارِ مَدْرَسَةً".
"غَدًا سَأَمْلَأُ الصَّحْراءَ بِالْكُتُبِ وَالدَّفاتِرِ وَالْأَلْوانِ!".
"سَتَأْتي مَعي نَعامَتي سَريعَةً، وَتوصِلُني بِأَمانٍ".



وَفي الْمَساءِ، جَلَسْنا نَسْتَدْفِئُ مِنْ بَرْدِ اللَّيْلِ الْقارِسِ. قُلْتُ: "لَقَدْ وَجَدْتُ الْحَلَّ؛ بِإِمْكانِنا الِاسْتِعانَةُ بِأَحَدِ الطَّوارِقِ لِإيصالي إِلى الْوادي، أَلَيْسَتْ وَظيفَتَهُمْ إيصالُ النّاسِ في الصَّحْراءِ إِلى أَيِّ مَكانٍ بِأَمانٍ؟". رَدَّ أَبي: "سَيَطْلُبونَ نُقودًا كَثيرَةً".

أَجَبْتُ: "سَأَبيعُ خِرافي، فَلَمْ أَعُدْ أَحْتاجُها، وَسَآخُذُ حَبْلًا وَمِصْباحًا لِعُبورِ الْوادي". صَمَتَ أَبي، وَبَكَتْ أُمّي، وَلَمْ نَنَمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ.



حَلَّ الصَّباحُ، وَاتَّفَقَ أَبي مَعَ الْعَمِّ خَلْفانَ، عَلى إيصالي إِلى الْوادي،
وَمُساعَدَتي عَلى الْعُبورِ. وَأَعْلَنَ أَمامَ الْجَميعِ أَنَّني سَأَبْدَأُ الدَّوامَ الْمَدْرَسِيَّ.
اِرْتَفَعَتْ هَمْهَماتٌ وَغَمْغَماتٌ، وَلَمْ أَهْتَمَّ، بَلِ ابْتَسَمْتُ.
وَمِنْ بَعيدٍ لَمَحْتُ نَعامَتي سَريعَةً تَبْتَسِمُ!



أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ، وَوَدَّعْتُ أُمّي وَأَبي، وَانْطَلَقْنا.



وَصَلْنا إِلى الْوادِي، وَكانَ شَديدَ الِانْحِدارِ،
وَالْجَوُّ جِدُّ حارٍّ. ظَهَرَتْ ظِلالُ الْماءِ أَسْفَلَ الْوادي.
سَأَلَني الْعَمُّ خَلْفانُ: "هَلْ تَرْجِعينَ؟".



أَجَبْتُ: "مُسْتَحيلٌ!". رَدَّ: "إِذَنْ،

اِنْتَبِهي لِظِلالِ الْماءِ، فَهِيَ سَرابٌ،

وَعِنْدَما تَصِلينَ، أَوْقِدي الْمِصْباحَ".

ثَبَّتْنا الْحَبْلَ بِعَمودٍ صَخْرِيٍّ.

أَمْسَكْتُ بِالْحَبْلِ، وَنَزَلْتُ،

فَعَلِقَتْ قَدَمي بَيْنَ الصُّخورِ.

"آااااه!"، صَرَخْتُ وَتَرَدَّدَ الصَّدى:

"آااااه! آاااه! آاااه!".

تَشَبَّثْتُ بِالْحَبْلِ، سَحَبْتُ قَدَمي بِقُوَّةٍ،

فَتَأَرْجَحْتُ، ثُمَّ نَزَلْتُ.



لَقَدْ نَجَحْنا! أَضَأْتُ الْمِصْباحَ، وَمَشَيْنا في طَريقٍ نَبَتَ عَلى جانِبَيْها الشّيحُ وَالْقَرْعُ الْبَرِّيُّ.
سَمِعْنا صَوْتَ خَشْخَشَةٍ، فَارْتَجَفَتْ سَريعَةً وَتَراجَعَتْ، ثُمَّ نَظَرَتْ إِلَيَّ، وَشَعَرْتُ أَنَّها تَسْأَلُني: "هَلْ تَرْجِعينَ؟".



أَجَبْتُ: "مُسْتَحيلٌ!" وَاقْتَرَبْنا. ضَحِكْنا مَعًا،
فَلَمْ يَكُنْ إِلّا ظَبْيًا جَميلًا مِنَ الْمَها عَبَرَ أَمامَنا.
اِنْبَثَقَ النّورُ مِنْ جَديدٍ، فَهَتَفْتُ: "هَلْ تَرَيْنَ ما أَرى؟".
رَكَضَتْ سَريعَةً.




وَصَلْنا إِلى الْمَدْرَسَةِ.

وَقَفَتْ سَريعَةُ في مَوْقِفِ السَّيّاراتِ، وَدَخَلْتُ أَنا.




كانَتِ الْمَدْرَسَةُ عالَمًا مُدْهِشًا، مَليئًا بِالْحُروفِ وَالْأَرْقامِ، وَالصُّوَرِ وَالْأَلْوانِ.



عُدْنا إِلى الْبَيْتِ مَعَ غُروبِ الشَّمْسِ، وَهُناكَ كانَ الْجَميعُ بِانْتِظارِنا، وَعَلى شِفاهِهِمْ أَسْئِلَةٌ كَثيرَةٌ.



سَرَدْتُ تَفاصيلَ الطَّريقِ، وَكُلَّ ما تَعَلَّمْتُهُ على الْجَميعِ:

"تَعلَّمْتُ الْأَرْقامَ، وَسَأَعُدُّ جَميعَ الْخِرافِ".

"سَأَقْرَأُ الدُّروسَ وَالْحَكايا لِلصِّغارِ".

"سَنُرَدِّدُ سَوِيًّا الْأَناشيدَ وَالْأَشْعارَ".

بَعْدَ عِدَّةِ أَيّامٍ، قَطَعْنا الصَّحْراءَ مُجَدَّدًا،

وَقَدْ غَمَرَتْني سَعادَةٌ أَكْبَرُ هذِهِ الْمَرَّةَ.



فَقَدِ اصْطَفَّ خَلْفَنا طابورٌ مِنَ الْأَطْفالِ الذّاهِبينَ إِلى الْمَدْرَسَةِ أَيْضًا.



## الصَّحْراءُ:



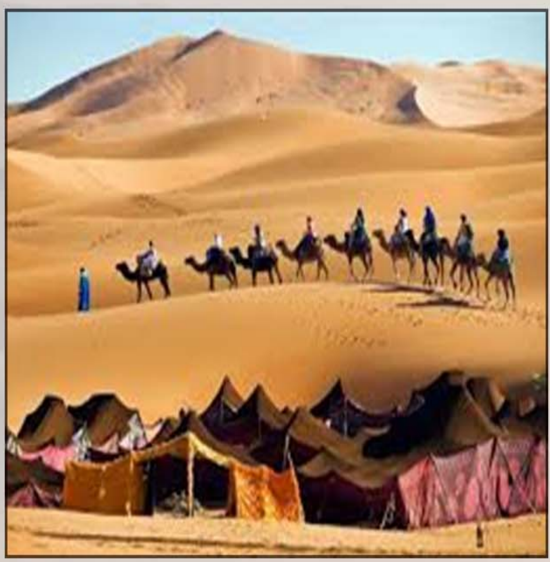


الصَّحْـراءُ مِنْطَقَـةٌ غُبارِيَّـةٌ وَجافَّـةٌ، لِأَنَّهـا قَليلَـةُ الْمَطَـرِ، وَتَرْتَفِـعُ فيهـا دَرَجـاتُ الْحَرارَةِ بِشَكْلٍ كَبيرٍ خِلالَ النَّهارِ، بَيْنَما تَنْخَفِضُ جِدًّا خِلالَ اللَّيْلِ.

وَمِنْ أَشْهَرِ مَعالِمِها: الْكُثْبانُ الرَّمْلِيَّةُ، وَالْجِبالُ الصَّخْرِيَّةُ.

- **بُقْعَةٌ نادِرَةٌ في الصَّحْراءِ:**

رُغْـمَ قِلَّـةِ الْأَمْطـارِ فـي الصَّحْـراءِ، إِلّا أَنَّ الْمَطَـرَ الْمُتَسـاقِطَ أَحْيانًـا يَتَسَـرَّبُ عَبْـرَ الثُّقـوبِ إِلـى باطِـنِ الْأَرْضِ مُكَوِّنًـا مُسْـتَوْدَعًا مائِيًّـا، يَظْهَـرُ عَلـى سَـطْحِ الْأَرْضِ عَلـى شَكْلِ واحاتٍ، يَزْرَعُ النّاسُ حَوْلَها مَحاصيلَهُمْ، وَمِنْها تَشْرَبُ حَيَواناتُهُمْ.



- **السُّكّانُ:**

يَعيـشُ سُـكّانُ الصَّحْـراءِ الْبَـدْوُ فـي تَنَقُّـلٍ دائِـمٍ، بَحْثًـا عَـنِ الطَّعـامِ وَالْمـاءِ، وَيَعْمَلـونَ غالِبًـا فـي الرَّعْـيِ، كَمـا يَعْمَـلُ فـي بَعْـضِ الصَّحـاري مُرْشِـدو طُـرُقٍ لِعابِري الصَّحْراءِ مِنَ التُّجّارِ يُسَمَّوْنَ الطَّوارِقَ.



- **الْحَيَواناتُ وَالنَّباتاتُ:**

وَلِأَنَّ الصَّحْـراءَ جافَّـةٌ وَقَليلَـةُ الْمَطَـرِ فَقِلَّـةٌ مِـنَ الْحَيَوانـاتِ الَّتـي تَسْـتَطيعُ التَّكَيُّـفَ وَالْعَيْـشَ فيهـا: كَالْجِمـالِ وَبَعْـضِ الغِـزْلانِ، وَالنَّعـامِ، وَحَيَـوانِ الْمَهـا، وَالْأَفاعـي وَالزَّواحِفِ.

قَليلَـةٌ النَّباتـاتُ الّتـي تَعيـشُ فـي الصَّحْـراءِ، مِنْهـا: الشِّـيحُ وَالْقَـرْعُ الْبَـرِّيُّ، وَالصَّبّـارُ الْأَشْـهَرُ عَلـى الْإِطْـلاقِ، يَخْتَـزِنُ الصَّبّـارُ الْمـاءَ فـي سوقِهِ، وَلَـهُ قِشْـرَةٌ شَـمْعِيَّةٌ تَمْنَـعُ تَسَرُّبَ الرُّطوبَةِ.


النِّهايَةُ